الفخر بالنفس في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

م.م. عمار محمد صالح

مركز البحوث والدراسات الإسلامية- مبدأ

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار مكور الليل على النهار تبصرة وذكرى لأولى الأبصار والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأخيار وآله وصحبه الأطهار, فأن موضوع الفخر بالنفس منه ما هو ممدوح وما هو مذموم وسأتناولها بالبحث والبيان من خلال آيات القرآن البينات وقد قسمت البحث على مبحثين تناولت في الأول الفخر المذموم وفي الثاني الفخر المحمود وتجدر الإشارة إلى ان الفخر المذموم ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول– الآيات المتعلقة بفخر إبليس اللعين وتكبره وورد هذا في عدد من الآيات وهي:

١. قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[١].

٢. قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[٢].

٣. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾[٣].

٤. قال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[٤].

وسأختار أحدى هذه الآيات للدراسة إذ أن المراد بيان العلاقة بين غرور إبليس وكبره وبين عصيانه لأمر الله تعالى لاسيما وأن الغرور متعلق بالكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس والغرور مظهر من مظاهر الكبر.

القسم الثاني: آيات متفرقة تشير إلى الفخر المذموم لطوائف متفرقة وسأتناولها جميعاً.

وأما الفخر المحمود فهو وارد في القرآن في مواضع سأتناولها في المبحث الثاني أن شاء الله تعالى وحسبي حسن النية وسلامة القصد ومن الله التوفيق.

تمهيد
تعريف الفخر في اللغة والاصطلاح

قال ابن فارس: «(فخر): الفاء والخاء والراء أَصلٌ صحيحٌ، وهو يدلُّ على عِظَم وقِدم. من ذلك الفخر. ويقولون في العبارة عن الفَخْر: هو عَدُّ القديم، وهو الفَخَر أيضاً. قال أبو زيد[٥]: فَخَرت الرَّجلَ على صاحبه أَفْخَرُه فخراً أي فضَّلتُه عليه»[٦].

وقال ابن سيده: والفُخْر والفَخارة والفِخَيرى: التمدّح بالخصال، فخَر يفخَر فخْراً فهو فاخِر وفَخور وافتخر وتفاخَر القوم: فخَر بعضُهم على بعض. وفاخَرْته: عارضْتُه بالفَخْر. وفاخرَني ففخرْته أفخُره فخْراً كنت أفخر منه وأفخرته عليه. وفخرْته أفخَره فخْراً: فضّلته. والفَخير: المغلوب بالفخْر والمفخَرة. والمفخُرة: ما يُفخَر به. وإنّ فيه لفُخْرة: أي فخْراً. وإنه لذو فُخْرة: أي فخْر، والجمع فُخَر[٧].

وقال ابن السكيت: فاخَرتُ الرجل فَفَخَرْتُهُ أَفْخُرُهُ فَخْراً، إذا كنت أكرم منه أباً وأمًّا. وأَفْخَرْتُهُ على فلانٍ: إذا فضَّلته عليه في الفَخْرِ. وكذلك فَخَّرْتُهُ عليه تَفْخيراً[٨].

ومن عرض مجمل أقوال أئمة اللغة يظهر أن الفخر هو التمدُّح بالخصال[٩]. والفخر: مصدر فخر، والاسم الفَخَار بالفتح، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، إما في المتكلم أو في آبائه.

الفخر في الاصطلاح:

عرف الجرجاني الفخر بقوله: «الفخر: التطاول على الناس بتعديد المناقب»[١٠].

وعرفه المناوي بذات التعريف[١١].

وعرفه الأحمد نكري بتعريف مقارب إذ قال: «الاستعظام على الناس بتعديد المناقب»[١٢].

وقال الراغب: «الفخر المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه»[١٣].

إن الإنسان قد يفتخر بنسبه، وقد يفتخر بنفسه، أي: بالخصال التي اتصف بها والدرجات التي نالها من الدين والدنيا، والأول هو الفخر العظامي؛ لأنه افتخار بالعظام والرفات، والثاني هو الفخر العصامي. وهو مأخوذ من عصام صاحب النعمان، وكان يقول:

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَت عِصاما وَعَلَّمَتهُ الكَرَّ وَالإِقداما(١٤)

فكل من جاءه السؤدد من تلقاء نفسه فهو مثل عصام هذا، ففخره عصامي. والحق أن كرم النسب فضيلة قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾(١٥)، ووصفُ الإنسان وسعيُه هو الشأنُ، والنسبُ زيادة، فإلغاء النسب رأساً جور، والاقتصار عليه عجز، والصواب ما قال عامر بن الطفيل:

إِنّي وَإِن كُنتُ اِبنَ سَيِّدِ عامِرٍ وَفارِسَها المَندوبَ في كُلِّ مَوكِبِ
فَما سَوَّدَتني عامِرٌ عَن قَرابَةٍ أَبى اللهُ أَن أَسمو بِأُمٍّ وَلا أَبِ
وَلَكِنَّني أَحمي حِماها وَأَتَّقي أَذاها وَأَرمي مَن رَماها بِمَنكِبِ(١٦)

المبحث الأول
الفخر المذموم

المطلب الأول- فخر إبليس:

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾(١٧).

أولاً- المعنى العام:

هذه الآية مثال على الاستكبار المبني على قياس فاسد مثل قياس إبليس نفسه على عنصره، الذي هو النار، وقياسه آدم على عنصره، الذي هو الطين، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم. ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾(١٨)، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار والخلف للنص أو لإجماع دعا فساد الاعتبار كل من وعى، فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسَلَفُه في ذلك إبليس، وقياس إبليس هذا لعنه الله باطل من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه فاسد الاعتبار. لمخالفة النص الصريح.

الثاني: أنّا لا نسلم أن النار خير من الطين، بل الطين خير من النار. لأن طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق، وطبيعته الرزانة والإصلاح فتودعه الحبة فيعطيكها سنبلة والنواة فيعطيكها نخلة. وإذا أردت أن تعرف قدر الطين فانظر إلى الرياض الناضرة

وما فيها من الثمار اللذيذة، والأزهار الجميلة، والروائح الطيبة، تعلم أن الطين خير من النار.

الثالث: «أنّا لو سلمنا تسليماً جدلياً أن النار خير من الطين: فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم. لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف المطلب، بل قد يكون الأصل رفيعاً والمطلب وضيعاً»(١٩).

قال الشاعر:

لئن فخرتَ بآباءٍ لهم شرفاً قلنا: صدقت ولكن بئس ما ولدوا(٢٠)

وقد أثارت هذه الآية جملة من الأسئلة الافتراضية يندر ورودها في غيرها من الآيات، منها؟

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.

إن قيل: لم سأله الله تعالى عن المانع من السجود وهو عالم بما منعه؟

أجيب: بأنه للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه أصل آدم- عليه الصلاة والسلام-(٢١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.

إن قيل: كيف يكون قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ جواباً لـ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، وإنما الجواب أن يقول منعني كذا؟

أجيب: بأنه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاداً لأن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه قال المانع: إني خير منه، ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول، فكيف يحسن أن يؤمر به، فهو الذي سنّ التكبر. وقال: بالحسن والقبح العقليين أوّلاً، وعلل الخيرية بقوله تعالى ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾، فهي أغلب أجزائي وهي مشرقة مضيئة عالية غالبة ﴿وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، أي: هو أغلب أجزائه، وهو كدر مظلم سافل مغلوب، فكل منهما مركب من العناصر الأربعة، فالإضافة إلى ما ذكر باعتبار الجزء الغالب(٢٢).

وإن قيل: ما الذي دفعه إلى هذا القياس؟

فالجواب: إنه الحسد؛ لأن الشيطان إنما قال ذلك حسداً لآدم(٢٣).

وقوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.

هل كان إبليس يسجد لمخلوق من نار؟

الجواب لا، لأنه بيَّن فضيلته في زعمه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، يعني لو كان مخلوقاً من نار لَمَا سجدتُ له؛ لأنه مخلوق مثلي، فكيف أسجد لمَن هو دوني[٢٤]؟

ثانياً- الدروس المستفادة من الآية:

١. الآية تبين نهج من زاغ عن طريق الصواب، وتذرع بالحجج التافهة، وبالآراء الموهومة التي لا تقنع إلا نفسه من أجل تمرير ما يريده مدفوعاً بالمنافع الشخصية، أو توافقاً مع أهوائه.
٢. المشركون تعاملوا مع فقراء المؤمنين بهذه المعاملة أيضاً، فقالوا: كيف نجالسُ هؤلاء الفقراء، مع أنَّا من أنساب شريفة، وهم من أنساب نازلة، ونحن أغنياء، وهم فقراء؟ فذكر الله هذه القصة؛ تنبيهاً على أنَّ هذه الطريقة بعينها طريقة إبليس[٢٥].
٣. لا نزال نسمع اليوم أشخاصاً يرومون التعالي على الآخرين أو يعتقدون أنهم خير من غيرهم لانتمائهم إلى حزب ما، أو لعشيرة ما، أو لفئة ما، ويظنون أنهم أفضل من غيرهم، وهؤلاء لا يفترقون في قياسهم عن قياس إبليس، ويتناسون قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢٦].
٤. بينت الآية المزالق التي يجنيها المرء بسبب حسده وغيرته، والمهالك التي يؤدي إليها الاستكبار والغرور والعنجهية.
٥. فداحة عصيان الأوامر الإلهية.
٦. سوء أدب إبليس مع رب العزة جل جلالُ حيث كان من المفروض أن يعتذر منه عز وجل ويقول لهُ (ربِ سامحني كيف يمكن أن أسجد لمن هو دونك) لكنه أعترض على ذلك بصلافة وبطريقة لا تدل على ما كان يعرف عنه من أنه كان أشدُ عبادة لله من الملائكة والجن، فقال بأسلوب الطاغي المتجبر: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ وهذا ديدن الطغاة والجبابرة فهم لا يعترفونَ بفضلِ أحدٍ عليهم أبدا.

المطلب الثاني- فخر فرعون:

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[٢٧].

أولاً- المعنى العام:

في هذه الآية شاهد آخر على حماقة مخلوق من المخلوقات، وهذه المرة هو الإنسان الذي حباه الله بالملك، فظن غروراً أن هذا الملك الدنيوي الزائل دال على ربوبيته، وغره هو الآخر بضعة قياسات فاسدة شأنه شأن إبليس اللعين. ومقصوده بذلك كله تعظيم أمر نفسه وتحقير أمر موسى عليه السلام.

لقد بعث الله تَعَالَى نبيه موسى عليه السلام بالحجج والبراهين القاطعة التي صدمت فرعون وملئه، فحاول توهين الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام بمخاطبة الناس وتحويل انتباههم عن الحق الذي جاء به نبي الله عليه السلام.

والآيات السابقة لهذه الآية توجز ما حصل بين الكليم عليه السلام وبين فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢٨].

إذا لقد استنجد القوم بموسى عليه السلام ليدعو ربه ليكشف عنهم العذاب، ظناً منهم أنهم سيعجزونه بذلك ويثبتون كذبه، فإن وفيت بمرادنا إننا لمهتدون، فلما كشف الله عَزَّ شَأْنُه عنهم العذاب نكثوا.

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم، أو لأنهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحراً[٢٩].

قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ ﴾ ونادى فرعون بنفسه أو بمناديه ﴿ فِي قَوْمِهِۦ ﴾ في مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ﴾ تحت قصري أو أمري أو بين يدي في جناني ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ذلك[٣٠]؟

هذه هي الحجة التي جاء بها فرعون، فهل اكتفى بها أو جاء بحجج أخرى تعضدها، وهل صدق قومه هذه الدعوى الباهتة في مقابل المعجزات الباهرة التي أُرسل بها موسى عليه السلام؟

هذا ما تخبرنا به الآيات اللاحقة؟

﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٣١].

لقد حاول فرعون تعزيز موقفه بأدلة واهية، كأن موسى عليه السلام لا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة؟ فلولا ألقي عليه أساورَ من ذهب، كالتي يتقلدها الملوك إن كان صادقاً، أو يأتي معه جيش من الملائكة؟ فاستخف قومه أي: طلب منهم الخفة في مطاوعته، أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما أمرهم به، فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق، آنذاك حل عليهم غضب الرب تبارك وتعالى[٣٢].

ثانياً- الدروس المستفادة من الآية:

١. إن فرعون لما كان يتطاول بملكه وبالأنهار التي تجري من تحته جعل الله هلاكه في الذي كان يفتخر به في الأنهار، أي: في جنسها[٣٣].
٢. قد وهم فرعون بوحدانيته بملكه وقصوره وعبيده، فظن أن هذه النعم هي ملكه وحده، وهو أحق بها، فقد أضاف إلى نفسه ملك مصر وأنهارها، وظن أنها لن تبيد، فأداه عُجبُه بنفسه ومُلكه أن أدعى الربوبية لنفسه. ولكن شاءت إرادة الله تعالى وسنته في خلقه بهلاك المتكبرين من الأمم والأفراد أن ينزع عنهم النعمة التي لم يشكروها، وهذا درس لكل طاغية، ولكل من سولت له نفسه الاستخفاف بالناس، وسعى لغمط حقوقهم أن يحذر من سوء العاقبة.
٣. لقد كانَ موقف فرعون أشدُ جحوداً من موقف إبليس فإبليس أعترفَ بمخلوقيته لله لكنهُ اعترضَ على أمرهِ، وأما فرعون فقد أدعى بالإلوهية لنفسهِ.

المطلب الثالث- فخر اليهود والنصارى:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[٣٤].

أولاً- المعنى العام:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ هذه حكاية لما صدر من اليهود والنصارى من الدعوى الباطلة لأنفسهم، ومرادهم بالأبناء المقربون، أي: نحن مقربون عند الله تعالى قرب الأولاد من والدهم، والأحباء: جمع حبيب بمعنى محب أو محبوب، ويجوز أن يكون أرادوا من الأبناء الخاصة كما يقال: أبناء الدنيا، وأبناء الآخرة، وأن يكون أرادوا أشياع من وصف بالبنوة، أي: قالت اليهود نحن أشياع ابنه عزير، وقالت النصارى: نحن أشياع ابنه المسيح- عليهما السلام-، وأطلق الأبناء على الأشياع مجازاً إما تغليباً أو تشبيهاً لهم بالأبناء في قرب المنزلة، وهذا كما يقول أتباع الملك: نحن الملوك. وقيل: الكلامُ على حذف المضاف، أي: نحن أبناءَ أنبياء الله تعالى وهو خلافُ الظاهر[٣٥].

والسؤال المطروح: هل قال هذه المقولة جميع اليهود أو بعضهم؟

نقف عند المفسرين على قولين:

أن قائل ذلك بعض اليهود[٣٦].

ونسب بعضهم ذلك إلى الجميع، فقد أخرج ابن جرير، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس- رضى الله تعالى عنهما- قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن آصي وبحري بن عمرو، وشاش بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله تعالى وحذرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، وقالت النصارى ذلك قبلهم، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية[٣٧].

وعن الحسن البصري: إن النصارى تأولوا ما في الإنجيل من قول المسيح: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم فقالوا ما قالوا[٣٨].

وقال الآلوسي: «وعندي أن إطلاق ابن الله على المطيع قد كان في الزمن القديم»[٣٩].

واستشهد على ذلك بعدد من الشواهد الواردة في التوراة منها:

ففي التوراة قال الله تعالى لموسى- عليه الصلاة والسلام-: «اذهب إلى فرعون وقل يقول لك رب إسرائيل: ابني بكري أرسله يعبدني، فإن أبيت أن ترسل ابني بكري قتلت ابنك بكرك»(٤٠).

وفي سفر إشعيا: «إنهم شعبي بنون لا يخونون»(٤١). و«ويل للبنين المتمردين»(٤٢)، و«ائت بابني من بعيد وببناتي من أقصى الأرض»(٤٣)، و«فإنك أنت أبونا وإن لم يلدنا إسرائيل أنت يا رب أبونا»(٤٤).

وقال يوحنا الإنجيلي في الفصل الثاني من الرسالة الأولى «انظروا إلى محبة الأب لنا أن أعطانا أن ندعى أبناء»(٤٥).

وغير ذلك من الشواهد(٤٦).

ومقصود الفريقين بهذه المقالة الافتخار والتباهي وأن لهم فضلاً ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق، فرد سبحانه عليهم ذلك، وقال لرسوله ﷺ:

﴿قُلْ﴾ إلزاماً لهم ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، أي: إن صح ما زعمتم فلأي شيء يعذبكم يوم القيامة بالنار أياماً بعدد أيام عبادتكم العجل- كما قال ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما-، وقد اعترفتم بذلك في غير ما موطن، وهذا ينافي دعواكم القرب ومحبة الله تعالى لكم أو محبتكم له المستلزمة لمحبته لكم كما قيل ما جزاء من يحِب إلا يَحب، أو فلأيّ شيء أذنبتم بدليل أنكم ستعذبون(٤٧).

وأبناء الله تعالى إنما يطلق إن أطلق في مقام الافتخار على المطيعين كما نطقت به كتبكم، أو إن صح ما زعمتم فلم عذبكم بالمسخ الذي لا يسعكم إنكاره(٤٨).

وعدّ بعضهم من العذاب البلايا والمحن كالقتل والأسر، واعترض على ذلك بأنه لا يصلح للإلزام، فإن البلايا والمحن قد كثرت في الصلحاء(٤٩).

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾، أي: أن يغفر له من أولئك المخلوقين وهم المؤمنون به تعالى وبرسله- عليهم الصلاة والسلام- ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾، أي: أن يعذبه، وهم الذين كفروا به سبحانه وبرسله- عَلَيْهِمِ السَّلام- مثلكم(٥٠).

وقال الشهاب: «اللائق أن يكون مرادهم بكونهم أبناء الله تعالى، أنه لما أرسل إليهم الابن- على زعمهم- وأرسل لغيرهم رسل عباده، دلّ ذلك على امتيازهم عن سائر الخلق، وأن لهم مع الله تعالى مناسبة تامة وزلفى تقتضي كرامة لا كرامة فوقها، كما أن الملك أرسل

لدعوة قوم أحد جنده ولآخرين ابنه علموا أنه مريد لتقريبهم، وأنهم آمنون من كل سوء يطرق غيرهم، ووجه الرد أنكم لا فرق بينكم وبين غيركم عند الله تعالى، فإنه لو كان كما زعمتم لما عذبكم وجعل المسخ فيكم وكذا على كونه بمعنى المقربين المراد قرب خاص فيطابقه الرد ويتعانق الجوابان»[٥١].

ثَانياً- الدروس المستفادة من الآية:

في هذه الآية دروس عدة من أبرزها:

١. إن اتصاف الإنسان ببعض المواصفات الجيدة لا يعني أنه أفضل من غيره، فلعل غيره يمتلك خصالاً أو سمات لا يمتلكها، فالملائكة- عَلَيْهِمِ السَّلام- مع فضلهم وخيرتهم سجدوا لآدم عليه السلام «لما تبين لهم أنه أعلم منهم وإنّ له خواص ليست لغيره»[٥٢].
٢. إن المفضل ما جعل الله تَعَالَى له الفضل.
٣. ضرر الاستكبار والاستعلاء والإصرار على الخطأ.

المطلب الرابع- فخر الإنسان بنفسه:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥﴾[٥٣].

أَوَّلاً- سبب النزول:

عن قتادة قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣﴾ قال: يتبختر وهو أبو جهل بن هشام كانت مشيته، ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ بمجامع ثوبه، فقال: أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى وعيداً على وعيد، فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئاً، وإني لأعز من مشى بين جبليها، وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**إن لكل أمة فرعوناً، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل**»[٥٤].

وروي ذلك عن مجاهد أيضاً[٥٥].

وذكر أن الآية نزلت في أبي جهل، وكادت تصرح به في قوله تعالى: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾، فإنها كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم، وكان يكثر منها[٥٦].

ثانياً- المعنى العام:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر افتخاراً بذلك، ومن صدر عنه مثل ذلك

ينبغي أن يخاف من حلول غضب الله تعالى به فيمشي خائفاً متطامناً، لا فرحاً متبختراً. فـ(ثم) للاستبعاد. والمتبختر يلوي مطاه تبختراً. وفي الحديث: «**إذا مشت أمتي المطيطاء، وخدمتهم فارس والروم، فقد جعل بأسهم بينهم، وسلط شرارهم على خيارهم**»(٥٧).

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ من الولي بمعنى القرب فهو للتفضيل في الأصل غلب فيقرب الهلاك ودعاء السوء، كأنه قيل: هلاكاً أولى لك، بمعنى: أهلكك الله تعالى هلاكاً أقرب لك من كل شر وهلاك، وهذا مثل بعداً وسحقاً في الهلاك(٥٨).

وإن ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ علم للويل مبني على زنة أفعل من لفظ الويل على القلب، وأصله أويل. وهو غير منصرف للعلمية والوزن، مثل يوم أيوم مع أنه غير منقاس لا يفرد عن الموصوف البتة، وإن القلب على خلاف الأصل لا يتركب إلا بدليل، وإن علم الجنس شيء خارج عن القياس مشكل التعقل خاصة فيما نحن فيه. وقيل: اسم فعل مبني، ومعناه: ويلك شر بعد شر(٥٩).

فالتقدير هنا النار أولى لك، أي: أنت أحق بها، وأهل لها ﴿فَأَوْلَىٰ﴾(٦٠).

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ تكرير للتأكيد، أو أن الجملة تذييل للدعاء لا محل لها من الأعراب، وجوز أن تكون في موضع الحال بتقدير القول، كأنه قيل: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ مقولا له ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ الخ(٦١).

ويؤيده ما روي عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- عن قول الله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ من نفسه، أم أمره الله تعالى به؟ قال: بل قال من قبل نفسه، ثم أنزله الله تعالى(٦٢).

ثالثاً- الدروس المستخلصة من الآية:

الدروس المستخلصة من هذه الآية هي امتداد للدروس السابقة التي بينت ضرر الاستكبار والاختيال، وعلى وجه التحديد ضرر الفخر المذموم بالنفس، والإعراض عن النصح حسداً واستكباراً عن الحق وجحوداً بالدلائل الواضحات البينات.

والآيات التي ذكرناها مع إقرارنا بالثواب العظيم لتالي القرآن، إلا أن التدبر والتخلق بالقرآن الكريم يبقى هو الغرض الأسمى والأهم، وهذا يملي على المؤمن التجاوب مع

أصحاب النيات الحسنة في نصحهم وإرشادهم.

المبحث الثاني
الفخر المحمود

المطلب الأول- فخر هابيل:

بعد أن عرضت بعض الشواهد المبينة للفخر المذموم، اذكر هنا الشواهد على الفخر المحمود، وورد في الْقُرْآن الْكَرِيم في ثلاثة مواضع، أولها على وفق التسلسل الزمني قول هابيل ابن آدم عليه السلام وذلك في قوله تعالى:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[٦٣].

أولاً- المعنى العام:

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أمر لرسول الله ﷺ بتلاوة نبأ ابني آدم وضمير ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعود على بني إسرائيل كما هو الظاهر إذ هم المحدث عنهم أولاً، وأمر ﷺ بتلاوة ذلك عليهم إعلاماً لهم بما هو في غامض كتبهم، الذي لا تعلق للرسول- عليه الصلاة والسلام- بها إلا من جهة الوحي لتقوم الحجة بذلك عليهم. وقيل: الضمير عائد على هذه الأمة أي اتل يا مُحَمَّد على قومك[٦٤].

قوله تعالى: ﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ هم هابيل القتيل، وقابيل، وكانا بإجماع غالب المفسرين ابني آدم عليه السلام لصلبه[٦٥].

واختلف العلماء في الشخصين الورادين في السورة: فقال جمهور العلماء: إنهما ابنا آدم لصلبه، وهما هابيل وقابيل. وقال الحسن البصري- رحمه الله: هما رجلان من بني إسرائيل، ولكن القرآن يشهد لقول الجماعة، ويدل على عدم صحة قول الحسن، وذلك استشهاداً بهذه الآية، إذ لا يخفى على أحد أنه ليس في بني إسرائيل رجل يجهل الدفن حتى يدله عليه الغراب، فقصة الاقتداء بالغراب في الدفن، ومعرفته منه تدل على أن الواقعة وقعت في أول الأمر قبل أن يتمرن الناس على دفن الموتى، كما هو واضح[٦٦].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ لأن الابن الآخر

سخط حكم الله تعالى، وهو عدم جواز نكاح التوأمة ﴿قَالَ﴾ استئناف سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل: فماذا قال من لم يتقبل قربانه؟ فقيل: قال لأخيه لفرط الحسد على قبول قربانه ورفعة شأنه عند ربه عز وجل كما يدل عليه الكلام الآتي، وقيل: على ما سيقع من أخذ أخته الحسناء ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، أي: والله تعالى ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾[٦٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ استئناف كالذي قبله، أي: قال الذي تقبل قربانه لما رأى حسد أخيه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ﴾، أي: القربان والطاعة ﴿مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ في ذلك بإخلاص النية فيه لله تعالى لا من غيرهم، وليس المراد من التقوى: التقوى من الشرك التي هي أول المراتب كما قيل، ومراده من هذا الجواب: إنك إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها عن لباس التقوى لا من قبلي، فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول[٦٨].

ثانياً- الدروس المستفادة من الآية:

في الآية جملة من الدروس المهمة، منها:

١. تبين الآية جريرة قتل الإنسان لأخيه الإنسان ويشهد على ذلك ما جاء بعد في السورة نفسها: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٦٩]، وفي هذا عظة لكل ذي لب وفهم.

٢. وفيها إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظه ونعمته، فإن اجتهاده فيما ذكر يضره ولا ينفعه[٧٠].

٣. نعت هذه الآية على العاملين أعمالهم، وعن عامر بن عبد الله العنبري[٧١] أنه بكى حين حضرته الوفاة، فقيل: له ما يبكيك، فقد كنت وكنت؟ قال: إني أسمع الله تعالى يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٧٢]. وفي هذا درس أن لا يغتر الإنسان بعمله، أو بعلمه، فالعبرة هي بقبول الله تَعَالَى لعمله من عدمه والعياذ بالله.

٤. بينت الآية جواز ثناء الإنسان على نفسه بما هو متحقق فيه من خصال محمودة، ومع أن التقوى هنا محمولة على المعنى اللغوي لها، أي: اتقاء الأكل من القربان، ولا تعني البراءة من الشرك، إلا انه بينت جواز امتداح الإنسان لفعله الخير بعدم معصية الله تَعَالَى، ويؤيد هذا الجواز قول هابيل لاحقاً: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ ﴾[٧٣].

٥. زعم بعضهم أن قوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾، ليس من كلام المقتول، بل هو من كلام الله تعالى للرسول ﷺ اعتراضاً بين كلام القاتل والمقتول، والضمير عائد في (قال) على الله، وقال أبو حيان: «ليس بظاهر»[٧٤]. فعلى هذا تبقى الآية صالحة للاستشهاد.

المطلب الثاني- فخر يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾[٧٥].

أولاً- المعنى العام:

قصة يوسف عليه السلام مشهورة معروفة، استغني بشهرتها عن التوسع في تفاصيلها، والخلاصة أنه بعد أن سجن يوسف عليه السلام ورأى الملك رؤياه التي فسرها له يوسف عليه السلام واستدعاه الملك، قال له يوسف عليه السلام:

﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾، أي: أرض مصر، وفي معناه قول بعضهم: أي أرضك التي تحت تصرفك[٧٦].

وقيل: أراد بالأرض الجنس وبخزائنها الطعام الذي يخرج منها والمعنى: ولني على أمرها من الإيراد والصرف[٧٧].

قوله تعالى: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ ﴾ لها ممن لا يستحقها ﴿ عَلِيمٞ ﴾ بوجوه التصرف فيها، وقيل: بوقت الجوع، وقيل: «حفيظ للحساب عليم بالألسن»[٧٨].

وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده عليه السلام[٧٩].

وجاء في رواية: «إن الملك لما كلمه عليه السلام وقص رؤياه وعبرها له قال: ما ترى أيها الصديق؟ قال: تزرع في سني الخصب زرعاً كثيراً، فانك لو زرعت فيها على حجر نبت،

وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام بقصبه وسنبله فإنه أبقى له ويكون القصب علفا للدواب فإذا جاءت السنون بعت ذلك فيحصل لك مال عظيم، فقال الملك: ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه؟ فقال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الخ(٨٠).

والظاهر أنه أجابه لذلك حين سأله، وإنما لم يذكر إجابته له عليه السلام إيذاناً بأن ذلك أمر لا مرد له غني عن التصريح به لاسيما بعد تقديم ما تندرج تحته أحكام السلطنة جميعها(٨١).

وروي عن ابن عباس– رَضِيَ اللهُ عَنْهُما– قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرحم الله تعالى أخي يوسف لو لم يقل: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة**»(٨٢).

ثانياً– الدروس المستفادة من الآية:

في الآية دليل على جواز تعريف الإنسان نفسه بالحق إذا جهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلاً، وكان متعيناً لذلك(٨٣).

وقد يثار اعتراض أن ما في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه(٨٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة، فانك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها**»(٨٥)؟

قيل في الجواب: إن هذا وارد في غير ما ذكر(٨٦).

وقال البيضاوي: «آثر يوسف عليه السلام ما تعم فوائده وتجل عوائده»(٨٧).

وقال الآلوسي: «ولعل إيثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة إنما كان للقيام بما هو أهم أمور السلطنة إذ ذاك من تدبير أمر السنين لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة»(٨٨).

المطلب الثالث- فخر المؤمن يوم القيامة:

لا يقف الافتخار المحمود عند حدود الحياة الدنيا، بل يتعداه إلى يوم العرض

الأكبر، إذ يعرض لنا الْقُرْآن الْكَرِيم صور تفاخر المؤمن بنيله البشارة العظمى، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ ﴾[٨٩].

أولاً- المعنى العام:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ تفصيل لأحكام العرض. والمراد بكتابه ما كتب الملائكة فيه ما فعله في الدنيا. وقد ذكروا أن أعمال كل يوم وليلة تكتب في صحيفة فتتعدد صحف العبد الواحد، فقيل: توصل له فيؤتاها موصولة[٩٠].

وقيل: ينسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة، وعلى القولين يصدق على ما يؤتاه العبد كتاب. وقيل: إن العبد يكتب في قبره أعماله في كتاب، وهو الذي يؤتاه يوم القيامة. وهذا قول ضعيف لا يعول عليه بيان كيف يؤتى العبد ذلك[٩١].

قوله تعالى: ﴿ فَيَقُولُ ﴾ افتخاراً ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ والهاء في ﴿ كِتَابِيَهْ ﴾، وكذا في ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾، و﴿ مَالِيَهْ ﴾، و﴿ سُلْطَانِيَهْ ﴾، وكذا ﴿ مَاهِيَهْ ﴾[٩٢] للسكت لا ضمير غيبة فحقها أن تحذف وصلاً، وتثبت وقفاً لتصان حركة الموقوف عليه فإذا وصل استغنى عنها[٩٣].

قال الزمخشري: اتباعاً للمصحف الإمام[٩٤].

وتعقبه ابن المنير، فقال: تعليل القراءة باتباع المصحف عجيب، مع أن المعتقد الحق أن القراءات بتفاصيلها منقولة عن النبي ﷺ[٩٥].

قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾، أي: علمت ذلك- كما قاله الأكثرون- بناء على أن الظاهر من حال المؤمن تيقن أمور الآخرة كالحساب فالمنقول عنه ينبغي أن يكون كذلك، والظن في الآيات كلها بمعنى اليقين، لكن الأمور النظرية لكون تفاصيلها لا تخلو عن تردد ما في بعضها مما لا يفوت اليقين فيه كسهولة الحساب وشدته مثلا عبر عن العلم بالظن مجازاً للإشعار بذلك[٩٦].

وقيل: لما كان الاعتقاد بأمور الآخرة مطلقاً مما لا ينفك عن الهواجس والخطرات النفسية كسائر العلوم النظرية نزل منزلة الظن فعبر عنه به لذلك، وفيه إشارة إلى أن ذلك غير قادح في الإيمان[٩٧].

وجوز أن يكون الظن على حقيقته، على أن يكون المراد من حسابه ما حصل له

من الحساب اليسير، فإن ذلك مما لا يقين له به، وإنما ظنه ورجحه لمزيد وثوقه برحمة الله تعالى عز وجل، ولعل ذلك عند الموت(٩٨).

وقد دلت الأخبار على أن اللائق بحال المؤمن حينئذ غلبة الرجاء وحسن الظن، وأما قبله فاستواء الرجاء والخوف(٩٩).

وعليه يظهر وقوع هذه الجملة موقع التعليل لما تشعر به الجملة الأولى من حسن الحال، فكأنه قيل: إني على ما يحسن من الأحوال، أو إني فرح مسرور؛ لأني ظننت بربي سبحانه أنه يحاسبني حساباً يسيراً وقد حاسبني كذلك، فالله تعالى عند ظن عبده به(١٠٠).

وهذا أولى من القول بجواز أن يكون المراد: إني ظننت أني ملاق حسابي على الشدة والمناقشة لما سلف مني من الهفوات، والآن أزال الله تعالى عني ذلك وفرج همي(١٠١).

وقيل: يطلق الظن على العلم حقيقة، وهو ظاهر كلام الرضى في أفعال القلوب، وفيه نظر(١٠٢).

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، أي: مرضية(١٠٣).

وقال غير واحد، أي: ذات رضى على أنه من باب النسبة بالصيغة كلابن وتامر(١٠٤).

ومعنى ذات رضى ملتبسة بالرضا، فيكون بمعنى مرضية أيضاً وأورد عليه أن ما أريد به النسبة لا يؤنث، كما صرح به الرضي، وغيره وهو هنا مؤنث، فلا يصح هذا التأويل، إلا أن يقال التاء فيه للمبالغة، وفيه بحث(١٠٥).

وقال الشهاب: «الحق أن مرادهم أن ما قصد به النسبة لا يلزم تأنيثه، وإن جاء فيه على خلاف الأصل الغالب أحياناً. والمشهور حمل ما ذكر على أنه مجاز في الإسناد، والأصل في عيشة راضٍ صاحبها فأسند الرضا إليها لجعلها لخلوصها دائماً عن الشوائب، كأنها نفسها راضية»(١٠٦).

ثانياً- الدروس المستفادة من الآية:

الآية دلت على فخر المؤمن يوم القيامة بما حازه من رضا الله عَزَّ وَجَلَّ، ونواله كتاب البشر بيمينه، ويبدو أن في هذا مزيد حسرة للكافرين وتنكيلاً بهم.

الخاتمة

١. لم يختلف اللغويون في تحديد معنى لفخر بأنهُ التفاضل وعد المناقب سواء كانت بالمتفاخر نفسهُ أو بأجداده.
٢. من الفخر بالنفس ما هو مستحق فيكون محموداً وما هو غي مستحق فيكون مذموماً.
٣. هناك فرق بين الفخر أن كان تباهياً أو كان من قبيل التحدث بنعمة الله.
٤. الفخرُ صفة قولية لان صاحبه يتمدحُ بما يملكُ من خصال معنوية أو ما يحوزهُ من مالٍ وجاهٍ وأولاد.

هوامش البحث

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٢) سورة الحجر: الآيتان ٣٢- ٣٣.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٤) سورة ص: الآيات ٧٣- ٧٦.

(٥) هو سعيد بن أوس الأنصاري الخزرجي، عالم بالنحو واللغة، روى له أبو داود والترمذي صدوق له أوهام، توفي سنة ٢١٥هـ. يُنْظَرُ: الفهرست، لمحمد بن إسحاق النديم، (ت٣٨٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م: ٨١.

(٦) مَقَايِيس اللُّغَة، لأبي الْحَسَن أَحْمَد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عَبْد السلام هارون، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، (د.ت): مادة (فخر) ٤/ ٣٨٣.

(٧) يُنْظَرُ: المخصص، لأبي الْحَسَن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت٤٥٨هـ)، دَار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت): مادة (فخر) ١/ ٣٢٤.

(٨) يُنْظَرُ: إصلاح المنطق لابن السكيت، لأبي يوسف يعقوب بن إِسْحَاق، (ت٢٤٤هـ)، تحقيق: أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، وعبد السلام مُحَمَّد هارون، الطَبْعَة الرابعة، دَار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩م: ٤٨.

(٩) يُنْظَرُ: لِسَان العَرَب، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار صادر، بَيْرُوْت، لَبْنَان، ١٩٦٨م: مادة (فخر) ٥/ ٤٨.

(١٠) التَّعْرِيفات، لأبي الْحَسَن علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: إبْرَاهِيم الأبياري، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ: ٢١٢.

(١١) التَوْقِيف عَلَى مُهِمَّات التَّعَارِيف، لمُحَمَّد عَبْد الرؤوف المناوي، (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: د.مُحَمَّد رضوان الداية، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الفكر المعاصر، دمشق، ودَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٤١٠هـ: ٥٥١.

(١٢) جَامِع العلوم في اصطلاحات الملقب بدستور الْعُلَمَاء، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نِكري، والجزء الرابع يسمى (ضميمة دستور الْعُلَمَاء)، الطبعة الأولى، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م: ٣/ ١٧.

(١٣) المُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت٤٢٥هـ)، أعده للنشر وأشرف عَلَى الطبع: د.مُحَمَّد أَحْمَد خلف الله مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت): ٣٧٤.

(١٤) البيت في دِيْوَان النابغة الذبياني، تحقيق وشَرْح: كرم البستاني، دَار بَيْرُوْت للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٩٦٣م: ٨٩.

(١٥) سورة الكهف: من الآية ٨٢.

(١٦) دِيْوَان عامر بن الطفيل، شَرْح ابن الأنباري، بَيْرُوْت– لَبْنَان، ١٩٦٢م: ٣٨.

(١٧) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(١٨) سورة البقرة: من الآية ٣.

(١٩) أضواء البيان: ١/ ٣٤؛ وينظر نشر البنود عَلَى مراقي السعود، لمُحَمَّد الأمين مُحَمَّد المُخْتَار الجكني الشنقيطي، (ت١٣٩٣هـ)، مطبعة فضالة بالمُحَمَّدية، المغرب، (بلا تاريخ): ٢٩.

(٢٠) دِيْوَان ابن الرُّوْمِيّ، دَار المَعْرِفَة، بَيْرُوْت، لَبْنَان، (د.ت): ٣١٩.

(٢١) يُنْظَرُ: تفسير السراج المنير: ١٥/ ٢٩٦.

(٢٢) يُنْظَرُ: تفسير السراج المنير: ١٥/ ٢٩٥.

(٢٣) يُنْظَرُ: تفسير ابن عثيمين: ١/ ١٩٣.

(٢٤) يُنْظَرُ: الْبَحْر المَدِيد: ١١/ ٢٧٢.

(٢٥) يُنْظَرُ: اللباب فِي علوم الكِتَاب: ٢/ ٢٦٠.

(٢٦) سورة آل عمران: من الآية ١٤٠.

(٢٧) سورة الزخرف: الآية ٥١.

(٢٨) سورة الزخرف: الآيات ٤٦-٥٠.

(٢٩) يُنْظَرُ: أَنْوَار التَّنْزِيل وأسرار التأويل المعروف بتَفْسِيْر البَيُضَاوِي، لأبي سعيد ناصر الدِّين عَبْد الله بن عُمَر بن مُحَمَّد الشِّيْرَازي البَيُضَاوِي الشَّافِعِيّ، (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: عَبْد القادر عرفات العشا حسونة، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م: ٥/ ١٤٨.

(٣٠) المصدر نفسه: ٥/ ١٤٨.

(٣١) سورة الزخرف: الآيات ٥٢-٥٦.

(٣٢) يُنْظَرُ: تفسير ابن أبي زمنين: ٢/ ١٤٩.

(٣٣) يُنْظَرُ: أضواء البيان: ٨/ ٣٨٣؛ تفسير ابن عثيمين: ١٢/ ٢٢.

(٣٤) سورة المائدة: الآية ١٨.

(٣٥) يُنْظَرُ: حاشية الشهاب: ٣/ ٢٢٧؛ رُوح المَعَانِي: ٦/ ١٠٠.

(٣٦) يُنْظَرُ: رُوح المَعَانِي: ٦/ ١٠٠.

(٣٧) يُنْظَرُ: جَامِع الْبَيَان: ٤/ ٥٠٥؛ دلائل النبوة ومَعْرِفَة صاحب الشريعة، لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، وثق أُصُوله وخرج حديثه وعلق عليه د.عَبْد المعطي قلعجي، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت- لَبْنَان (د.ت): ١/ ١٣٦؛ الدُّرّ المَنْثُور، لعَبْد الرَّحْمَن بن الكمال جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطي، (ت٩١١هـ)، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٩٩٣م: ٢/ ٤٧٦.

(٣٨) الْبَحْر الْمُحِيط: ٣/ ٤٤٨.

(٣٩) رُوح المَعَانِي: ٦/ ١٠١.

(٤٠) الكِتَاب المقدس، ويضم: العهد القديم (التوراة)، والعهد الجديد (الإنجيل)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكِتَاب المقدس فِي الشرق الأَوْسَط، بَيْرُوْت، ١٩٨٨م: سفر الخروج: الإصحاح الرابع: ٢٣.

(٤١) الإصحاح: ٦٣/ ٨.

(٤٢) الإصحاح: ٣٠/ ١.

(٤٣) الإصحاح: ٤٣/ ٦.

(٤٤) الإصحاح: ٦٣/ ١٦.

(٤٥) إنجيل يوحنا: ٣/ ٢٦.

(٤٦) رُوح المَعَانِي: ٦/ ١٠٢.

(٤٧) يُنْظَرُ: المحرر الوجيز: ٤/ ٣٩٤؛ رُوح المَعَانِي: ٦/ ١٠٢؛ حاشية الشهاب: ٣/ ٢٢٧.

(٤٨) رُوح المَعَانِي: ٦/ ١٠٣.

(٤٩) المصدر نفسه: ٦/ ١٠٣.

(٥٠) رُوح المَعَانِي: ٦/ ١٠٣.

(٥١) حَاشِيَة الشِّهَاب: ٣/ ٢٢٩.

(٥٢) تفسير السراج المنير: ١٥/ ٢٩٦.

(٥٣) سورة القيامة: الآيات ٣٣-٣٥.

(٥٤) يُنْظَرُ: تفسير ابن أبي حاتم: ١٢/ ٢٥٦؛ مَفَاتِيح الْغَيْب: ٨/ ٣٨٣؛ الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٨٤؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٧/ ٣٦٣؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٥٧٦ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ١٤٨.

(٥٥) يُنْظَرُ: تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٢٥٦؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٧/ ٣٦٣.

(٥٦) يُنْظَرُ: جامع البيان: ٢٩/ ٣٥١؛ الكَشَّاف: ٤/ ٦٤٤؛ مَفَاتِيح الْغَيْب: ٨/ ٣٨٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٨٤؛ الدر المنثور: ٧/ ٣٦٣؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٥٧٦؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ١٤٨.

(٥٧) صَحِيْح ابْن حِبَّانَ: ١٥/ ١١٢ رقم (٦٧١٦)؛ الْمُعْجَم الأوْسَط، لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق ابن عوض الله بن مُحَمَّد، وعبد المحسن ابن إبْرَاهِيم الحسين، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ: ١/ ٤٧ رقم (١٣٢).

(٥٨) يُنْظَرُ: زاد المسير: ٨/ ٤٢٥؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١١٥؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ١٤٩.

(٥٩) يُنْظَرُ: الكَشَّاف: ٤/ ٦٦٤؛ مَفَاتِيح الْغَيْب: ٨/ ٣٨٣؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ١٤٩.

(٦٠) يُنْظَرُ: حَاشِيَة الشِّهَاب: ٨/ ٢٨٥؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ١٤٩.

(٦١) يُنْظَرُ: المصدران نفسهما.

(٦٢) سُنَن النَّسَائِيّ الكُبْرَى، لأبي عَبْد اللَّه أَحْمَد بن شُعَيب بن علي بن عَبْد الرَّحْمَن النَّسَائِيّ، (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د.عَبْد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م: ٦/ ٥٠٤؛ الْمُعْجَم الكَبِيْر، لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد بن أيوب الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المَجِيْد السلفي، الطَبْعَة الثانية، مكتبة الْعُلُوم والحكم. الموصل، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م: ١١/ ٤٥٨؛ الْمُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لأبي عَبْد اللَّه الحافظ مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه الحاكم النَّيْسَابوري، (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عَبْد القادر عطا، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م: ٢/ ٥٥٤ رقم (٣٨٨١)؛ جامع البيان: ٢٩/ ٢٠٠؛ الدر المنثور: ٧/ ٣٦٣؛ مجمع الزوائد: ٧/ ١٣٢ وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

(٦٣) سورة المائدة: الآية ٢٧.

(٦٤) يُنْظَرُ: الدُّرّ المَنْثُور: ٣/ ٥٦؛ رُوح المَعَانِي: ٦/ ١١١.

(٦٥) يُنْظَرُ: رُوح المَعَانِي: ٦-١١١.

(٦٦) يُنْظَرُ: جَامِع الْبَيَان: ٦/ ١٨٨؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٣/ ٥٦؛ روح المعاني: ٦/ ١١١؛ أضواء البيان: ١/ ٤٠٢.

(٦٧) يُنْظَرُ: روح المعاني: ٦/ ١١١.

(٦٨) يُنْظَرُ: حاشية الشهاب: ٣/ ٢٣٣؛ روح المعاني: ٦/ ١١١.

(٦٩) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٧٠) يُنْظَرُ: روح المعاني: ٦/ ١١١.

(٧١) هو عامر بن عبد الله العنبري المعروف بعامر بن عبد قيس البصري، كنيته أبو عبد الله، وكان من سادات التابعين، روى عن عمر بن الخطاب ﷺ وروى عنه الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو عبد الرحمن الحبلي. مات بالشام أيام معاوية ﷺ فيما قاله خليفة بن خياط وغيره، وله مناقب مشهورة وفضائل مأثورة. يُنْظَرُ: تهذيب الكمال: ١٤/ ٦٤.

(٧٢) يُنْظَرُ: الكَشَّاف: ٢/ ١٤٩؛ الدُّرّ المَنْثُور: ٣/ ٥٧؛ تفسير السراج المنير: ١٥/ ٥١؛ روح المعاني: ٦/ ١١١.

(٧٣) سورة المائدة: الآيتان ٢٨-٢٩.

(٧٤) الْبَحْر الْمُحِيط: ٤/ ٤٥٤.

(٧٥) سورة يوسف: الآية ٥٥.

(٧٦) ينظر: الكشاف: ٢/ ٣٢٨.

(٧٧) يُنْظَرُ: رُوح المَعَانِي: ١٣/ ٥.

(٧٨) يُنْظَرُ: جَامِع الْبَيَان: ٥/ ٢٤٣.

(٧٩) يُنْظَرُ: جَامِع الْبَيَان: ١٣/ ٦؛ الكَشَّاف: ٢/ ٣٢٩؛ المحرر الوَجِيْز: ٨/ ٧؛ أَنْوَار التَّنْزِيل: ١/ ٤٨٨؛ رُوح المَعَانِي: ١٣/ ٥.

(٨٠) يُنْظَرُ: الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن: ٩/ ٢١٢.

(٨١) يُنْظَرُ: رُوح المَعَانِي: ١٣/ ٦.

(٨٢) الفِرْدَوْس بِمَأْثُورِ الخِطَابِ، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية،

بَيْـرُوْت، ١٩٨٦م: ٢/ ٢٦٣ رقـم (٣٢٢٣)؛ مَعَـالِم التَّنْزِيـل: ٣/ ٢٦٢؛ الْجَـامِع لأَحْكَـام الْقُرْآن: ٣/ ٢١١؛ لُبَاب التَّأْوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر الخازن)، لعلاء الدِّين علـي بـن مُحَمَّـد بـن إبْـرَاهِيم البَغْـدَادي الصـوفي المعـروف بالخـازن، (ت٧٢٥هـ)، الطَبْعَـة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م: ٣/ ٢٦.

(٨٣) وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين، ولم اقف على مخالف له. يُنْظَرُ: الكَشَّاف: ٢/ ٣٢٨-٣٢٩؛ المحـرر الـوَجِيْز: ٨/ ٥-٦؛ مَجْمَـع الْبَيَـان: ٥/ ٢٤٣؛ أَنْـوَار التَّنْزِيـل: ١/ ٤٨٨؛ إِرْشَاد الْعَقْلِ السَّلِيمِ: ٤/ ٢٨٦؛ حَاشِيَة الشِّهَاب: ٥/ ١٨٨؛ رُوح المَعَانِي: ١٣/ ٧.

(٨٤) هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلم يوم فتح مكة، ثم غزا خراسان في زمن عثمان ﷺ وهو الذي افتتح سجستان وكابل، وكان تولي إمارة سجستان سنة ثلاث وثلاثين، فلم يزل بها حتى اضطرب أمر عثمان، فخرج عنها واستخلف رجلاً من بنى يشكر، فأخرجه أهل سجستان ثم عاد إليها في سنة اثنتين وأربعين، ثم رجع إلى البصرة فسكنها، وتوفى بها سنة إحدى وخمسين روى عنه الحسن وغيره. يُنْظَرُ: مُعْجَم الصَّحَابَة، لأبي الحسين عَبْد الباقي بن قانع، (ت٣٥١هـ)، تحقيق: صـلاح بـن سـالم المصـراتي، الطَبْعَـة الثالثـة، مكتبـة الغربـاء الأثَريـة، المدينـة المنـورة، ١٤١٨هـ: ٢/ ١٦٧؛ الاستيعاب: ٢/ ٨٥٣.

(٨٥) متفق عليه، صَـحِيْح الْبُخَارِيّ: ٦/ ٢٤٤٣ رقم (٦٢٤٨)؛ صَـحِيْح مُسْلِم: ٣/ ١٢٧٣، رقم (١٦٥٢).

(٨٦) يُنْظَرُ: مَفَاتِيح الْغَيْب: ١٨/ ١٦٤-١٦٥؛ رُوح المَعَانِي: ١٣/ ٧.

(٨٧) أَنْوَار التَّنْزِيل: ١/ ٤٨٨.

(٨٨) رُوح المَعَانِي: ١٣/ ٧.

(٨٩) سورة الحاقة: الآيات ١٩- ٢١.

(٩٠) يُنْظَرُ: الكَشْف عَلَى الكشاف، لعَبْد الرَّحْمَن الفارسي القزويني، (ت٧٣٩هـ)، مخطوط فِي مكتبة الأوقاف العامة، بَغْدَاد، رقم (٢٢٩٦) بخط عَبْد الغفار بن سعيد بن عبيد الله سنة (٨١٩هـ): الورقة ٥ من سورة الحاقة؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٦.

(٩١) يُنْظَرُ: رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٦.

(٩٢) يُنْظَرُ: رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٦.

(٩٣) يُنْظَرُ: البحر المحيط: ٨/ ٣٢٥؛ إرشاد العقل السليم: ٩/ ٢٤؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٣٣٣؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٦.

(٩٤) الكَشَّاف: ٤/ ٦٠٣.

(٩٥) يُنْظَرُ: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لناصر الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الْمُنِير الإسكندري المالكي، (ت٦٨٣هـ)، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، لَبْنَان، (د.ت): ٤/ ٦٠٣؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٦.

(٩٦) يُنْظَرُ: الكَشَّاف: ٤/ ٦٠٣؛ المحرر الوجيز: ١٥/ ٧٣؛ مَفَاتِيح الْغَيْب: ٨/ ٢٦٨؛ البحر المحيط: ٨/ ٣٢٥؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٣٣٣؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٧؛ حَاشِيَة الشيخ محيي الدِّين أَحْمَد القنوجي، والمسمى حَاشِيَة الشيخ زاده عَلَى تَفْسِيْر البيضاوي، (ت١٣٠٧هـ)، المطبعة السلطانية، الإستانة، ١٢٨٣هـ: ٣/ ٥٣٩.

(٩٧) رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(٩٨) يُنْظَرُ: مَفَاتِيح الْغَيْب: ٨/ ٢٦٨؛ حَاشِيَة الشِّهَاب: ٨/ ٢٣٨؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(٩٩) فتاوى ابن تيمية: ١٠/ ٢١٦؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(١٠٠) رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(١٠١) ينظر: مَفَاتِيح الْغَيْب: ٨/ ٢٨٦؛ حاشية الشهاب: ٨/ ٢٣٨؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(١٠٢) يُنْظَرُ: تفسير الخازن: ٤/ ٢٣٨؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(١٠٣) يُنْظَرُ: البحر المحيط: ٨/ ٣٢٤؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٣٣٤؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(١٠٤) يُنْظَرُ: أنوار التنزيل: ٨/ ٢٣٨؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٣٣٤؛ إرشاد العقل السليم: ٩/ ٢٥؛ حاشية الشهاب: ٨/ ٢٣٨؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨؛ حاشية زاده: ٣/ ٥٣٩.

(١٠٥) يُنْظَرُ: حاشية الشهاب: ٨/ ٢٣٨؛ رُوح المَعَانِي: ٢٩/ ٤٨.

(١٠٦) يُنْظَرُ: حاشية الشهاب: ٨/ ٢٣٨.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. أَنْوَار التَّنْزِيل وأسرار التأويل المعروف بتَفْسِيْر البَيُضَاوي، لأبي سعيد ناصر الدِّين عَبْد اللَّه بن عُمَر بن مُحَمَّد الشِّيْرَازي البَيُضَاوِي الشَّافِعِيّ، (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: عَبْد القادر عرفات العشا حسونة، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢. الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لناصر الدِّين أَحْمَد ابن مُحَمَّد بن الْمُنِير الإسكندري المالكي، (ت٦٨٣هـ)، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوْت.

٣. الْبَحْر الْمُحِيط، لأبي عَبْد اللَّه أثِيْر الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي ابن يوسُف بن حَيَّان الأَنْدَلُسِي، الشهير بأبي حَيَّان، (ت٧٤٥هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ.

٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن مُحَمَّد ابن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري، (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: عمر أحمد الراوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، مكتبة المشكاة، بيروت– لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥. تفسير ابن أبي زمنين، وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عيسى المري المالكي، المعروف بابن أبي زمنين، (ت٣٩٩هـ)، مطبعة القرويين، تونس، ٢٠٠٥م.

٦. تفسير ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، الطبعة الأولى، دار الثريا للنشر، الرياض، (د.ت).

٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٨. جَامِع الْبَيَان عن تأويل آي الْقُرْآن المعروف بـ(تَفْسِيْر الطَّبَري)، لأبي جعفر مُحَمَّد ابن جَرِير بن يزَيْد بن خالد الطَّبَري، (ت٣١٠هـ)، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ.

٩. الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عَبْد الله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أَحْمَد عَبْد العليم البردوني، الطَبْعَة الثانية، دَار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

١٠. حَاشِيَة الشيخ محيي الدِّين أَحْمَد القنوجي، والمسمى حَاشِيَة الشيخ زاده عَلَى تَفْسِيْر البيضاوي، (ت١٣٠٧هـ)، المطبعة السلطانية، الإستانة، ١٢٨٣هـ.

١١. الدُّرّ المَنْثُور، لعَبْد الرَّحْمَن بن الكمال جلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطي، (ت٩١١هـ)، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٩٩٣م.

١٢. دِيْوَان ابن الرُّوْمِيّ، دَار المَعْرِفَة، بَيْرُوْت، لَبْنَان، (د. ت).

١٣. دِيْوَان رؤبة بن العجاج، (ت١٤٥هـ)، تحقيق: عزت حسن، مكتبة الشرق، بَيْرُوْت، (د.ت).

١٤. رُوح المَعَانِي فِي تَفْسِيْر الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثَّنَاء شِهاب الدِّين السيد محمود بن عَبْد الله الآلُوسي البَغْدَادي، (ت١٢٧٠هـ)، دَار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، (د.ت).

١٥. زَاد المَسِيْر فِي علم التَفْسِيْر، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، الطَبْعَة الثالثة، المكتب الإِسْلامِيّ للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٩٠م.

١٦. سُنَن النَّسَائِيّ الكُبْرَى، لأبي عَبْد الله أَحْمَد بن شُعَيب بن علي بن عَبْد الرَّحْمَن النَّسَائِيّ، (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د.عَبْد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٧. صَحِيْح ابْن حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم مُحَمَّد بن حِبَّانَ بن أَحْمَد التميمي البستي، (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطَبْعَة الثانية، مؤسسة الرِسَالَة، بَيْرُوْت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.

١٨. صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لأبي عَبْد الله مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، الطَبْعَة الثالثة، دَار ابن كثير، ودار اليمامة بَيْرُوْت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٩. صَحِيْح مُسْلِم. لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيْسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي، دَار إحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، (د.ت).

٢٠. الفِرْدَوْس بِمَأثُورِ الخِطَابِ، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، (ت٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٩٨٦م.

٢١. الكِتَاب المقدس، ويضم: العهد القديم (التوراة)، والعهد الجديد (الإنجيل)، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكِتَاب المقدس فِي الشرق الأوْسَط، بَيْرُوْت، ١٩٨٨م.

٢٢. الكَشَّاف عن حقائق التَّنْزِيل وعُيُون الأقاويل فِي وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمَخْشرِي الخُوَارِزْمي، (ت٥٣٨هـ)، طبعة جديدة حققها وخرّج أحاديثها وعلق عليها على نسخة خطية: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٣. الكَشْف عَلَى الكشاف، لعَبْد الرَّحْمَن الفارسي القزويني (ت٧٣٩هـ)، مخطوط فِي مكتبة الأوقاف العامة، بَغْدَاد، رقم (٢٢٩٦) بخط عَبْد الغفار بن سعيد بن عبيد الله سنة (٨١٩هـ)

٢٤. لُبَاب التَّأوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر الخازن)، لعلاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن، (ت٧٢٥هـ)، الطَبْعَة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م.

٢٥. اللباب فِي علوم الكِتَاب، لأبي حفص عُمَر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، (ت٨٨٠هـ)، الطَبْعَة الأُولَى، تحقيق وتعليق: عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، شارك فِي تحقيقه: د.مُحَمَّد سعد رمضان حسن، ود.مُحَمَّد المتولي الدُّسُوقي الحرب، منشورات مُحَمَّد علي، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٩٩٨م.

٢٦. المحرر الوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز (المعروف بتَفْسِيْر ابن عطية)، لأبي مُحَمَّد عَبْد الحق ابن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عَبْد الله بن إبْرَاهِيم الأنصاري، والسيد عَبْد العال السيد إبْرَاهِيم. الطَبْعَة الأُولَى، مؤسسة دَار الْعُلُوم، الدوحة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٧. الْمُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لأبي عَبْد الله الحافظ مُحَمَّد بن عَبْد الله الحاكم النَّيْسَابوري، (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عَبْد القادر عطا، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢٨. مَعَالِم التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر البغوي)، لأبي مُحَمَّد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي، (ت٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، الطَبْعَة الثانية، دَار المَعْرِفَة، بَيْرُوْت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٩. الْمُعْجَم الأَوْسَط، لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق ابن عوض الله بن مُحَمَّد، وعبد المحسن ابن إبْرَاهِيم الحسين، الطَبْعَة الأُولَى، دَار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٠. مُعْجَم الصَّحَابَة، لأبي الحسين عَبْد الباقي بن قانع، (ت٣٥١هـ) تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، الطَبْعَة الثالثة، مكتبة الغرباء الأثَرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

٣١. مَفَاتِيح الْغَيْب المعروف بـ(التَفْسِيْر الكَبِيْر) وبـ(تَفْسِيْر الرازي)، لأبي عَبْد الله فَخْر الدِّين مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِيّ الْمَذْهَب الرَّازي، (ت٦٠٦هـ)، الطَبْعَة الثالثة، المطبعة البَهِيَّة المصرية، ميدان الأزهر، مصر، (د.ت).

٣٢. تَاج العَرُوْس من جَوَاهِر الْقَامُوس، لمحيي الدِّين أَبِي الْفَضْل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الْحَنَفِيّ الزَّبَيْدِيّ، (ت١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بَيْرُوْت، (د.ت).

٣٣. تَهْذِيب اللُّغَة، لأبي منصور مُحَمَّد بن أَحْمَد الأزهري، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: أَحْمَد عَبْد العليم البرنوني، مراجعة: علي مُحَمَّد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، (د.ت).

٣٤. جمهرة اللُّغَة، لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن الْحَسَن الأزدي البصري بن دريد، (ت٣٢١هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٥هـ.
٣٥. الصِّحَاح تَاج اللُّغَة وصحاح العَرَبِيّة، لإسماعيل بن حماد الجوهري، (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أَحْمَد عَبْد الغَفُوْر عطا، الطَّبْعَة الثانية، دَار العلم للملايين، بَيْرُوْت- لَبْنَان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٦. لِسَان العَرَب، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، الطَّبْعَة الأُولَى، دَار صادر، بَيْرُوْت- لَبْنَان، ١٩٦٨م.
٣٧. المحكم والْمُحِيط الأعظم فِي اللُّغَة، لأبي الْحَسَن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ود.حسين نصار، الطَّبْعَة الأُولَى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٨م.
٣٨. الْمُحِيط فِي اللُّغَة، تأليف: كافي الكفاءة الصاحب إسماعيل بن عباد، (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ مُحَمَّد حسن آل ياسين، دَار الحرية للطباعة، بَغْدَاد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٣٩. المخصص، لأبي الْحَسَن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت٤٥٨هـ)، دَار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
٤٠. التَّعْرِيفات، لأبي الْحَسَن علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، (ت٨١٦هـ)، تحقيق: إبْرَاهِيم الأبياري، الطَّبْعَة الأُولَى، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، ١٤٠٥هـ.
٤١. التَّوْقِيف عَلَى مُهِمَّات التَّعَارِيف، لمُحَمَّد عَبْد الرؤوف المناوي، (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: د.مُحَمَّد رضوان الداية، الطَّبْعَة الأُولَى، دَار الفكر المعاصر، دمشق، ودَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، ١٤١٠هـ.
٤٢. جَامِع العلوم في اصطلاحات الملقب بدستور الْعُلَمَاء، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نِكري، والجزء الرابع يسمى (ضميمة دستور الْعُلَمَاء)، الطبعة الأولى، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن- الهند، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.